أعدته خبيرة في دار كريستيز ويطلق الشهر المقبل ضمن فعاليات «آرت دبي»

أعمال الفنان السكندري محمود سعيد توثق للمرة الأولى في كتاب

لندن، عبير مشخص

الفنان المصري محمود سعيد (1897 - 1964) والذي يعتبر من رواد الفن المصري الحديث، سجل عودته لصدارة المشهد الفني في السنوات الماضية، لا سيما بعد بيع عدد من لوحاته بأرقام قياسية في مزادات الفن الحديث. وبدا أن ذلك الاهتمام في تنام، حيث أصبح هناك جمهور جديد لسعيد يستمتع بأسلوبه المصري الخالص في الرسم. وعزز ذلك الاهتمام الرقم القياسي الذي حققته لوحة «الدراويش» في مزاد لدار «كريستيز» عام 2010 حيث بيعت بـ(2,43 مليون دولار) وتوجت كأغلى لوحة لفنان عربي تباع في المزاد.

ولا يزال الإقبال على رؤية واقتناء أعمال سعيد مستمرًا، خصوصًا مع زيادة المعروض من أعماله في دور المزادات. ولكن كانت هناك دائمًا مشكلة تواجه خبراء الفنون في التحقق من صحة تلك الأعمال، خصوصًا مع عدم وجود معلومات موثقة حول كل عمل فني وتاريخ اقتنائه. وكان هذا أحد الأسباب التي دعت بـ«فاليري هاس» الخبيرة الفنية بدار «كريستيز» للتفكير بإعداد كتالوغ موثق ومقنن لأعمال محمود سعيد، مستعينة بخبرة المقتني المصري د. حسام رشوان، وهو من هواة أعمال سعيد ويمتلك عددًا منها.

في حوار مع هاس تحدثت حول الكتاب الشامل وأهميته وضرورة وجود غيره لتوثيق أعمال الفنانين العرب. بداية تقول إن الكتاب الصادر حديثًا يورد معلومات موثقة حول أعمال سعيد، وتضيف: «في الغرب يعد الكتاب الموثق أو كما يطلق عليه (الكتالوغ ريزونيه)، مثل الموسوعة التي تعدد أعمال فنان بعينه، ويختلف عن الكتب الأخرى التي تصدر عن الفنان في انه يعد بمثابة مرجع كامل. ومن الطبيعي أن يستغرق إعداد تلك المراجع سنين طويلة؛ فعلى سبيل المثال يستغرق كتابة (كتالوغ) موثق لأعمال الفنان كلود كونيه أو بابلو بيكاسو عشرين عامًا على الأقل، وذلك بسبب ضخامة عدد الأعمال التي أنتجها كل منهما». ولكن الأمر يختلف في حالة محمود سعيد، إذ إن الأعمال المعروفة للفنان، التي يمكن التأكد من أصلها لا يتجاوز الـ130 عملاً، ولهذا استغرق مشروع إعداد الكتاب من المؤلفين نحو خمس سنوات.

تعترف هاس بأنها تحمل إعجابا خاصا بأعمال محمود سعيد تؤرخ بدايته من عام 2010، مع بيع لوحتي «الشادوف» و«الدراويش» في المزاد بـ«كريستيز دبي». «كانا عملين لا يمكن نسيانهما» تمضي هاس في حديثها: «كان فنًا جديدًا بالنسبة لي، أردتُ معرفة المزيد عنه وبحثت عن مطبوعات، ولكنني لم أجد ما أحتاج إليه. رغم وجود كتاب باللغة العربية عن محمود سعيد من إعداد عصمت داوستاشي ضم فيه نحو 295 لوحة منسوبة لسعيد ولكنها غير موثقة. أضيفي لذلك أننا كنا نتلقى لوحات لمحمود سعيد طوال الوقت في (كريستيز)، ولكن لم يكن هناك كتاب موثق لأعماله يمكننا من التحقق من تلك اللوحات».

غلاف الكتاب

الدراويش

لحظة غروب الشمس على النيل في الأقصر (كريستيز)

فتاة جالسة على الأرض

راعية الماشية في العلمين

لوحة «الشادوف» من أغلى اللوحات الفنية العربية

وجدت هاس في الدكتور حسام رشوان الشريك المناسب لإعداد كتاب شامل مع شروح مفصلة عن محمود بعد الأول من نوعه عن فنان بمنطقة الشرق الأوسط، خصوصا أن د. رشوان مقتنٍ شغوف لأعمال سعيد وغيره لدرجة أن منزله تحول إلى متحف صغير للفن الحديث، كما تشير هاس، «هو بمثابة موسوعة حية، ويعرف الكثير عن سعيد، وسنحت له فرصة مقابلة ابنته، وأحسست وقتها بأنه يجب أن يفعل شيئًا بذلك الحب والمعرفة».

خلال رحلة إعداد الكتاب تقابلت هاس مع أفراد من عائلة سعيد، وازداد إيمانها بوجوب تسجيل كل تلك المعلومات خشية من ضياعها للأبد بعد رحيل حامليها. وامتدت رحلات هاس في مصر برفقة د. رشوان لجمع المعلومات وتوثيق لوحات محمود سعيد في المتاحف المصرية، خصوصًا المتحف الذي يحمل اسم الفنان في الإسكندرية، الذي يضم 43 لوحة له. وبعد تصوير وتوثيق اللوحات بدا من المنطقي البدء في إعداد الكتاب.

ينقسم الكتاب لجزأين؛ الأول مخصص للوحات، والجزء الثاني للرسوم، ويضم الجزء الأول مقدمة بقلم المحامي ياسر عمر أمين، وهو أحد المتخصصين في قوانين الملكية الفكرية، ويعمل على تطوير نظام فعال للتحقق من اللوحات الفنية.

يقول أمين في مقدمته: «في معظم حالات بيع اللوحات الفنية،

تقابلت هاس خبيرة «كريستيز» مع أفراد من عائلة سعيد وازداد إيمانها بوجوب تسجيل كل تلك المعلومات خشية من ضياعها

لا توجد وسيلة فعالة للتحقق منها، وهو ما يجعل المشتغلين بالفنون في المنطقة العربية من أقل الفئات حماية. وينتج عن ذلك حالة من عدم اليقين تتطور إلى نزاعات قانونية حول موثوقية العمل، التي تمثل شاغلاً للملاك والمقتنين والمشترين وأيضًا لسلالة الفنانين إضافة إلى بيوت المزادات وخبرائها».

ويبدو أن كتاب محمود سعيد سيكون فاتحة لتحضير فهارس مماثلة لفنانين عرب آخرين، فتشير هاس إلى أن ابنة الفنان شفيق عبود تقوم حاليًا بإعداد كتالوغ موثق لأعمال والدها على الإنترنت. كذلك تقوم عائلة الفنان يول غيراغوسيان بتحويل الفهرس الإلكتروني الخاص به إلى كتاب.

أتساءل: «وماذا عن رواد الفن الحديث في مصر؟ هل هناك أية مشروعات قادمة لتوثيق أعمالهم الفنية؟» تجيب: «يقوم د. رشوان حاليًا بالاشتراك مع أستاذ بجامعة الإسكندرية بإعداد كتاب حول الفنانين سيف وادهم وانلي، أعرف أيضًا أن عائلة الفنان عبد الهادي الجزار تعد كتابًا عنه، ومن جانبي أشارك في إعداد فهرس لأعمال الفنانين محمد ناجي وعفت ناجي». غير أن هاس تؤكد على أن الأمر ليس سهلاً، خصوصًا مع قلة المصادر التي توثق تاريخ وملكية الأعمال الفنية، مشيرة إلى أن الأمر كان مختلفًا في حالة محمود سعيد، إذ إنه انتج عددًا صغيرًا نسبيًا من الأعمال، إضافة إلى توفر بعض المعلومات عنه عن طريق أسرته ومتحفه وبعض المقتنين مثل د. رشوان.

وسيقدم الكتاب في حفل على هامش «آرت دبي» يوم 15 مارس (آذار) المقبل، إضافة إلى حلقة نقاش ومعرض لأعمال الفنان التي بيعت عبر «كريستيز» في دبي، حيث سيقوم مالكو تلك اللوحات بإعارتها للدار بهذه المناسبة؛ «سنستعير 12 لوحة، إضافة إلى وجود ست لوحات تعرض ضمن مزادنا المقبل في دبي».

بورتريه لسعيد وهو في الـ33 من مقتنيات ابنته

وتتصدر مزاد «كريستيز» للأعمال الفنية الشرق أوسطية الحديثة والمعاصرة في شهر مارس القادم مجموعة لوحات لسعيد، جميعها من مقتنيات العائلة الخاصة، ومنها لوحتان مليرتان للاهتمام من مقتنيات ابنته الخاصة. حيث يشمل المزاد المرتقب لوحة «أسوان - جَرّ وكتّان» إلى جانب الرسمة الأولية بإعارتها للدار بهذه المناسبة؛ «سنستعير 12 لوحة، إضافة إلى بالألوان الزيتية في عام 1949، وتُعرضان للمرة الأولى في سوق الأعمال الفنية الشرق أوسطية. ويُشاهد في هذه اللوحة النيل في يوم مشمس، وهناك اختلافات دقيقة بين اللوحة النهائية واللوحة الأولية، خصوصًا في ألوان الجبال والسماء التي تبدو أكثر بساطة في اللوحة النهائية مقارنة باللوحة الأولية.

ومن الفروقات الأخرى بين اللوحتين النهائية والأولية أن محمود سعيد اختار في اللوحة النهائية تحريك «الفلوكة» (المركب) التي يبحر به رجلان إلى وسط اللوحة مقارنة باللوحة الأولوية حيث تبرز في صدر اللوحة النهائية (القيمة التقديرية الأولية: 250,000 - 300,000 دولار أميركي).

كما يقدم المزاد لوحة البورتريه الذاتية المعنونة «تأمل النفس» وهي واحدة من أكثر اللوحات الذاتية اللافتة لمحمود سعيد من بين لوحات البورتريه الذاتية الأخرى له، التي تُعتقد أن ثمانية أو تسعة، أربعة أو خمسة منها في شكل رسومات. وكما يشير عنوان اللوحة فإن محمود سعيد يتأمل في نفسه وهو في سنّ 33 عامًا في عام 1930. وهذه اللوحة أيضًا كانت ضمن مقتنيات نادية محمود سعيد ود. حسن الخادم (القيمة التقديرية الأولية: 8,000 - 12,000 دولار أميركي).